Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N°:1 – 2023, P.P :228-242

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13، العدد1- 2023، ص.ص:228-242

# حقيقة المتوحد في المشروع الباجوي

# The reality of the autistic in the Bajwi project

**بوزيدي مسعودة**

**جامعة وهران2 مُحَمَّد بن احمد (الجزائر)، amelbouzidi3131@gmail.com**

**تاريخ الاستلام : 2022/07/27 ؛ تاريخ القبول : 2022/10/08 ؛ تاريخ النشر : 2023/02/20**

**الملخص**

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نلم بمختلف أفكار الفيلسوف ابن باجة من خلال تأثره بالفلاسفة اليونانيين وبفلسفة المشرق خاصة ،وبهذه الأفكار والمواقف حاول **ابن باجة** أن يؤسس **مشروعًا باجويًا** يضع فيه معالم تفكير جديد حول مضمون الإنسان المتوحد الّذي يجب أن يواجه مصيره المنفرد بذاته ويعتبر كتاب المتوحد لابن باجة من أهم كتبه لأنه حاول أن يمزج فيه نهجا يسير عليه الإنسان من حيث هو فرد في نفسه ومن حيث هو عضو في الجماعة ،فاتخذ في نهجه الفلسفي من شخصية المتوحد ذلك الإنسان الفاضل في المدينة ،كما اتخذ من تدبير المتوحد مثالًا كتدبير المنزل ثم تدبير المدينة فهو يرتقي بالمتوحد من الجزء إلى الكل ومن المفرد إلى المجتمع معتمدا في ذلك على التفسير العقلي الذي لا تشوبه لذة حسية وهو وحده الموصل إلى الحقيقة.

**الكلمات المفتاحية:** المتوحد، منهج المتوحد، التصوف الاجتماعي، النوابت .

**Abstract**

Through this research paper we try to get acquainted with the various ideas of the philosopher Ibn Bajja through his influence on the Greek philosophers and the philosophy of the East in particular. Al-Mutahid book by Ibn Bajjah is considered one of his most important books because he tried to mix in it an approach that man follows in terms of being an individual in himself and as a member of the group. For example, such as managing the house and then managing the city, it elevates the autistic from the part to the whole and from the singular to society, relying on rational interpretation that is not tainted by sensory pleasure, and it alone leads to the truth.

**Keywords** :autistic, autistic curriculum, social mysticism, an-Nawabbat.

**1.مقدمة:**

مما لا شك فيه أن ابن باجة حاول إرساء قواعد التّفكير الفلسفي الإسلامي في مغربنا العربي خاصة بعد إطلاعه على بحوث وكتابات الفلاسفة اليونانيين فتأثر بأفكار أفلاطون وآراء أرسطو السّياسية ورغم تأثره الشّديد بهم إلا أنه تجاوز أفكار بعض الفلاسفة اليونانيين وهذا ما نلاحظه من خلال شرحه لكتب أرسطو واختلف معه في عدة مسائل فلسفية ,وبهذا اعتبر ابن باجة أول فيلسوف أندلسي حلل وشرح مؤلفات أرسطو ,لهذا تميزت شخصيته بالشّجاعة العلمية وتقديره لحرية الفكر وإخلاصه للبحث عن الحقيقة مهما اكتنفها الصّعاب ,وما هذا إلا بفضل الفلسفة في المشرق فهذه الأخيرة تعتبر الرّكيزة الأولى لظهور الفلسفة في المغرب والأندلس عن طريق فلسفة كل من الكندي والفارابي وابن سينا التي مهدت لظهور فلسفات وأفكار كل من ابن باجة وابن طفيل وابن رشد ،يقول **ابن طفيل** في مقدمة كتابه "**حي بن يقظان**" :"ولم يكن فيهم . أهل الأندلس . أثقب ذهنا ولا أصح نظرًا ولا أصدق رويةً من أبي بكر ابن الصّائغ" **(عبد القادر بلعالم ،2013 ،ص31)** .فلم تكن حياة **ابن باجة** على قصرها حياة سعيدة بل كانت حياة كلها معاناة وعزلة عقلية بسبب الاضطراب الّذي عاشه فقد عاش ابن باجة في بيئة فقيرة من الناحية الفكرية فلم يكن فيها فلاسفة ولا من يشتغل بالفلسفة .بهذه الأفكار والمواقف حاول **ابن باجة** أن يؤسس **. مشروعًا باجويًا .** يضع فيه معالم تفكير جديد حول مضمون الإنسان المتوحد الّذي يجب أن يواجه مصيره المنفرد بذاته ويعتبر كتاب المتوحد لابن باجة من أهم كتبه لأنه حاول أن يمزج فيه نهجا يسير عليه الإنسان من حيث هو فرد في نفسه ومن حيث هو عضو في الجماعة كما يرسم هذا المنهج لهذه الجماعة من حيث هي مؤلفة من جملة من الأفراد كلهم متوحد وكلهم متشابه وكلهم ينبغي أن يحقق الغاية القصوى من وجود الإنسان المتوحد أو الجماعة المتوحدة وهذه الغاية هي الاتصال بالعقل الفعال الّذي يستلزم في تحققه به وتحقيقه له أن تقدم مقدمات وأن تؤدي واجبات مما تتبين معه القيمة النّظرية والعملية لمذهب ابن باجة. **(رحاب خضر عكاوي ،1993 ،ص 247)**

**إشكالية البحث** :فما حقيقة فلسفة المتوحد الذي يُراد تدبيره في المشروع الباجوي ؟
**أهداف الدراسة** :نسعى من خلال هاته الورقة البحثية لإبراز الغاية من المشروع الباجوي **تدبير المتوحد** مجسدا نموذج الإنسان الكامل الذي يرتقي من الجزء إلى الكل للوصول إلى الكمال .
**الفرضيات المناسبة** :تتمثل فرضيات الدراسة فيمايلي :تشييد نمذجة الإنسان الكامل بديلا للإنسان الناقص ،تدبر الإنسان المتوحد المنفرد حتى يحقق سعادته وغاياته .
**منهج الدراسة** :اتبعنا في معالجة هاته الفكرة الفلسفية الجديدة منهجا تحليليا حاولنا من خلاله دراسة وتحليل الإشكالية المطروحة لتبيان خصائص ومميزات المتوحد المنفرد وإبراز الكيفية والغاية من تدبير المتوحد في المشروع الباجوي.

**2. تدبير المتوحد**

دشن ابن باجة في الثقافة العربية الإسلامية خطابا فلسفيا جديدا متحررا من علم الكلام واشكالياته ومن هاجس التوفيق والتلفيق الذي استولى على فلاسفة المشرق فخص العلم الطبيعي الأرسطي بشروحات يظهر فيها اتجاه ابن باجة النقدي كما يظهر تفكيره الأصيل ،كما ألف رسائل الإلهيات يظهر فيها كذلك تفكيره الأصيل ولاسيما اختلافه مع الفرابي وابن سينا وتحرره من النزعة الهرمسية التصوفية التي نخرت من الداخل عقلانيتهم الفلسفية .**(محمد عابد الجابري ،2009 ،ص 529)** .
فكتاب تدبير المتوحد يعبر بوضوح عن مذهبه الفلسفي حيث عرض فيه تصوره الفلسفي لصورة الإنسان الكامل ليطرحه بديلاً للإنسان النّاقص ليكون نموذجًا لمدينة كاملة محل المدينة النّاقصة ،ولهذا كانت فلسفته محاولة للتّوفيق بين الفلسفة والواقع وهي تمثل بالإضافة إلى ذلك تأمل الفيلسوف وقلقه بسبب عدم قدرته على العيش بصورة طبيعية في مجتمعه .**(عبد القادر بلعالم ،2013 ،ص 36)** .

تكتسي رسالة تدبير المتوحد أهمية خاصة سواء على مستوى دراسة فلسفة ابن باجة بمفرده أو على مستوى التاريخ للفلسفة في المغرب والأندلس ضمن جهة تستقطب هذه الرسالة أهم القضايا التي عالجها فيلسوفنا ،ومن جهة ثانية يشكل أول عمل فلسفي في الأندلس كان يطمح إلى تشييد نظرية متكاملة في موضوع جديد.**(محمد عابد الجابري ،1993 ،ص 181)** ،ويظهر أن غاية ابن باجة من

رسالة تدبير المتوحد أن يثبت قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بحسنات الحياة البعيد عن مفاسدها على الاتصال بالعقل الفعال بمجرد نمو قواه الفكرية ،ولكن ابن باجة لا يوصي بالخلوة أو الوحدة المطلقة إنما يرشد الإنسان المشتغل بشؤون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال وهو يشير إلى إمكان ذلك لرجل بمفرده أو لعدة رجال في درجة واحدة من الفكر وهم ذو مقصد واحد.**(محمد لطفي جمعة ،2013 ،ص 99)** .لهذا فإن الهدف والغاية من هذا المفهوم الفلسفي في المشروع الباجوي هو بيان الكيفية التي يتدبر بها الإنسان المتوحد حتى ينال أفضل وجوداته فيحقق السعادة لنفسه أولا .

**1.2 التدبير والتوحد**

إن ما دفع ابن باجة إلى تأليف كتاب تدبير المتوحد شدة إعجابه بالفارابي وبحياته المنفردة في عزلة عن الناس وعن الجمهور الغالب منهم خاصة وكيف أنه استطاع أن يبلغ من الفلسفة العقلية أكثر مما بلغه ابن سينا والغزالي اللذان حرصا على الاتصال بالعامة أشد الحرص ،ويعد كتاب تدبير المتوحد هو الصلة الصحيحة بين الفارابي وابن باجة .**(عمر فروخ ،1952 ،ص 39)** .

**2.2 التدبير**

لفظة التدبير في لسان العرب تقال على معانٍ كثيرة قد أحصاها أهل لسانهم وأشهر دلالتها بالجملة على ترتيب أفعال نحو غاية مقصودة ولذلك لا يطلقونها على فعلا واحدا يقصد به غاية ما ،فإن من اعتقد في ذلك الفعل أنه واحد لم يطلق عليه التدبير وأما من اعتقد فيه أنه كثير وأخذه من حيث هو ذو ترتيب سمّى ذلك الترتيب تدبيرا ولذلك يطلقون على الإله مدبر العالم.**(ابن باجة ،1994 ،ص 05)**.أما فحوى المفهوم في الفلسفة الوجودية فأبرزه **مارتن هيدجر** في رسالة في الإنسانوية :**"إننا لم نتدبر ماهية الفعل بما يفي من الحسم بعد"**.

ويعني هذا اللفظ في أكبر معانيه مجموعة من الأعمال ترمي إلى مقصد معلوم فلا يمكن أن يستدل بها على عمل مفرد وإنما على جملة أفعال تنجز على وتيرة واحدة بناءً على خطة مرسومة للوصول إلى غرض معلوم كالتدبير السياسي والتدبير الحربي ،والتدبير قد يكون بالقوة وقد يكون بالفعل ،فإذا كان بالقوة كان ذلك بالفكرة وكان هذا من خصائص الإنسان إذ لا يوجد للإله وكانت دلالته على ما بالقوة أكثر وأشهر مما هي بالفعل ،وقد يقال هذا التدبير بعموم وخصوص فإذا قيل بعموم قيل في كل أفعال الإنسان كيف كانت فيقال في المهن وفي القوى إلا أنه في القوى أكثر وأشهر ,وإذا قيل

بخصوص قيل على تدبير المدن وتدبير المنزل ولكن كلمة التدبير تطلق على المنزل بتقيد وقلما يطلق عليه التدبير.**(زينب عفيفي ،2000 ،ص 334 )** .ففي تدبير المدن فابن باجة يكتفي بإحالة القارئ إلى أفلاطون إذ قد بين أمره أفلاطون في السياسة المدينة وبين معنى الصواب منه ومن أين يلحقه الخطأ ،في حين أن تدبير المنزل فالقول فيه جزء من القول في المدن من أجل ذلك كان القول في تدبير المنزل على ما هو مشهور ليس له جدوى ولا هو علم.**(محمد عابد الجابري ،1993 ،ص 185)** .وأما تدبير الإله للعالم فإنما هو تدبير بوجه آخر بعيد عن النسبة عن أقرب المعاني تشبيها به وهذا هو التدبير المطلق وهو أشرفها لأنه إنما قيل له تدبير للشبه الظنون بينه وبين إيجاد الإله تعالى للعالم.**(ابن باجة ،1994 ،ص 06)**

ونقصد تدبير هذا الإنسان المتوحد وبين أنه قد لحقه أمر خارج عن الطبع فنقول كيف يتدبر حتى ينال أفضل وجوداته كما يقول الطبيب في الإنسان المنفرد في هذه المدن ،كيف يتوحد حتى يكون صحيحا إما بأن تحفظ صحته كما كتب جالينوس في كتاب حفظ الصحة وإما بأن يسترجعها إذا زالت كما وصفت في صناعة الطب.**(ابن باجة ،1994 ،ص 14)**

ومادام الهدف من هذا التدبير هو السعادة ،فإن هذه السعادة ستكون فردية وذلك هو أحد معاني التوحد ،وإذن فالسعداء إن أمكن وجودهم في هذه المدن فإنما يكون لهم سعادة المفرد وهؤلاء هم الذين يعنيهم الصوفية بقولهم الغرباء لأنهم وإن كانوا في أوطانهم وبين أترابهم وجيرانهم **غرباء** في آرائهم قد سافروا بأفكارهم إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان .إن الهدف من الرسالة إذن هو بيان كيف يتدبر هذا الإنسان المتوحد حتى ينال أفضل وجوداته فيحقق السعادة لنفسه. **(محمد عابد الجابري ،1993 ،ص 186)** ،وبالتالي فصواب التدبير أن يكون تدبير الفرد سواءً كان الفرد واحدا أو أكثر من واحد ما لم يجتمع على رأيهم أمة أو مدينة من خلال إيجاد الغاية المرجوة وهي المدينة الكاملة لأن الإنسان مدني بطبعه وبطبيعة الحال المتوحد إنسان .فكيف يتدبر حتى يكون صحيحا كذلك هذا القول هو للنابت المفـرد وهو كيف ينال السعادة إذا لم تكن موجـودة أو كيف يزيل عن نفسه الأعراض التي تمنعه عن السعادة أو عن نيل ما يمكنه منها إما بحسب غاية رويته أو بحسب ما استقر في نفسه ،إن هذين الصنفين يسقطان جملة في المدينة الكاملة .

### 3.2 منهج المتوحد

يعني **ابن باجة** بلفظة المتوحد الإنسان المفرد الّذي يحيا سواءً في نفسه أو غيره حياة مفردة يحصل على سعادة مفردة أيضًا وهي قد تطلق على الجماعة أو المدينة المؤلفة من أفراد مفردين يحيا كلهم في نفسه ويحيا كلهم فيما بينهم حياة يدبرها الفكر وتوجهها الرّوية فكأنهم فيما يخضعون له من فكر وروية وفيما يأخذون به أنفسهم من تدبير في أفعالهم النّفسية والخلقية والاجتماعية إنما يعيشون كأنهم غرباء عمن ليس منهم ولا شبيه بهم.**(زينب عفيفي ،2000 ،ص 335)** .بهذا يكون التوحد صفة الإنسان الكامل الذي يريد أن يستكمل أفضل وجوداته ليس العقلية فحسب بل والمدينة الجماعية .

فطبيعة معنى الغربة الذي يحتمله مفهوم التوحد وذلك في إطار اختلاف أساس عن التصور الحديث الذي انحصر كما رأينا إلى تأويل وجودي يعاني من الأفق العدمي الذي يفترضه فمطلب الغربة لدى الصوفية ليس العود إلى الذات المفقودة بل مطلبها السعادة وبعبارة أكثر إثارة :سعادة المفرد ،بل وعلى نحو أكثر حسما :إن معنى الغربة لديهم يضاهي الوطن إنه ضرب من أدب العزلة.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 86)**

يقول الأهواني من خلال تحليله لنظرية ابن باجة في "**تدبير المتوحد**" أنه كان مطلعًا على جمهورية أفلاطون وعلى النّواميس وعلى المدينة الفاضلة للفارابي وغير ذلك من النّظريات السّياسية وخرج من ذلك كله بنظرية خاصة به ولكنها على الجملة أنه متأثر بالنّزعة اليونانية ويمكن أن نلخص نظريته في عبارات بسيطة هي :"أن الإنسان كائن متوسط بين الإلهي والبهيمي ويحسن به أن يسلك المسلك الإلهي ما أمكنه ولا يأتي ذلك إلا **بالتّوحد** ،ففي كتابه "تدبير المتوحد" بدأ ابن باجة بتحديد التّدبير وهو ما دل على ترتيب أفعال نحو غاية مقصودة كتدبير المدن ،وتدبير المنزل وتدبير الإله للعالم وهو أشرف التّدابير. فالمتوحد هو المنفرد بنفسه الذي جعل فرادته هيئة لوجوده فما يتفرد به هو ما يتوحد لأجله ولأنه لا يعاني من وحدته هو فيلسوف ،إن مهمة وجوده هو تهذيب الوحدة بضرب خاص من الوطن وذلك هو معنى التوحد ،إن المتوحد هو غريب الرأي وتوحده هو تدرب عسير على الإقامة على حدود وطن عقلي هو مطالب سلفا برسمه لنفسه في كل مرة ،إن التوحد فن مخصوص يعيد ترتيب العلاقة بالمكان.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 90)**

### 4.2 المتوحد

يرى ابن باجة أن المتوحد هو الذي يكون فعله فعلا إنسانيا كاملا أي يصدر عن فكر وروية والأفعال الإنسانية مرتبطة بالصور الروحانية ،والصور الروحانية هي الصور الروحانية والجسمانية والصور الروحانية الخاصة وهي التخيل والتذكر والحس المشترك والصور الروحانية العامة وهي الصور المعقولة ولكل صورة من هذه الصور الثلاث تصدر عنها أفعال .

والمتوحد إنما يهدف بالأفعال الراجعة إلى الصورة الجسمانية وبالصورة الراجعة إلى الروحانية الخاصة خدمة الصور الروحانية العامة وذلك ما يسميه ابن باجة بالطبع الفلسفي وهكذا فكما أن على الروحاني أن يفعل بعض الأفعال الجسمانية ،لكن ليس لذاتها ويفعل الأفعال الروحانية لذاتها ،كذلك الفيلسوف يجب أن يفعل كثيرا من الأفعال الروحانية لكن لا لذاتها ويعمل جميع الأفعال العقلية لذاتها وبالجسمانية هو الإنسان موجود وبالروحانية هو أشرف وبالعقلية هو إلهي أفضل.**(محمد عابد الجابري ،2001 ،ص 376)**.

يقول ابن باجة :"الأفعال الإنسانية التي تضاف إلى المتوحد ويمكن أن يفعلها متوحد ثلاث أصناف منها ما هو نحو الصور الجسمانية له ومنها ما هو نحو الصورة الروحانية الخاصة من حيث لها نسبة خاصة ومنها ما هو نحو الصورة العامة "الروحانية العامة" وهي الصورة المعقولة".**(كامل محمد محمد عويضة ،1993 ،ص 204)** .

المتوحد الظّاهر من أمره أنه يجب عليه أن لا يصحب الجسماني ولا من غايته الروحانية المشوبة بجسمه بل إنما يجب عليه أن يصحب أهل العلوم ،ولكن أهل العلوم يقلون في بعض السّير ويكثرون في بعض حتى يبلغ في بعضها أن يعدموا ولذلك يكون المتوحد واجبا عليه في بعض السّير أن يعتزل عن النّاس جملة ما أمكنه فلا يلابسهم إلا في الأمور الضّرورية أو بقدر الضّرورة أو يهاجر إلى السّير التي فيها العلوم إن كانت موجودة وليس هذا مناقضا لما قيل في العلم المدني ،ولما تبين في العلم الطّبيعي فإنه تبين هناك أن الإنسان مدني بالطّبع وتبين في العلم المدني أن الاعتزال شر كله ،لكن هذا إنما هو بالذّات وإما بالعرض فخير . فالتدبر فن مدني بالعرض لأن مقصوده سعادة المفرد لا سعادة المدينة والمتوحد ليس معتزلا إلا بالعرض لأن مقصوده ليس هدم الطبيعة المدنية للوجود الإنساني ما هو موضوع فلسفة المتوحد إذن ؟يبدو أن النابتة الذي تطبع بما هو خارج عن

الطبع إنما لا يحتاج إلى الفلسفة إلا بقدر شوقه إلى الشفاء مما ألمّ به من الخارج عن الطبع.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 99)**

والمتوحد يفعل هذه الأفعال الفاضلة ليتحقق بها كمال العمل لا ينال بها الذكر أو الخبرات الخارجية ويقول ابن باجة إن ما يصنعه الأفاضل لا ينالوا لينالوا به الذكر بل لأجل كمال العمل وذلك حال المتدبرين لا يقصدون بأفعالها الرياء والسمعة ،وأفعال المتوحد تتمثل خاصة في الروحانيات العامة وهي الصور المعقولة وهي تمثل غاية المتوحد .

فابن باجة لم يرد بالمتوحد الشخص الذي يعتزل هذا العالم كالراهب أو الناسك بل يعني به الرجل الذي يستطيع أن يظل عائشا في البيئة التي هو فيها ولكنه يستطيع أن يوجد لنفسه بيئة في قلب بيئة أو حكومة في وسط حكومة ،وابن باجة يرمي من ذلك ألى أن يجتمع حكماء العصر في شبه مدينة فاضلة كالتي تخيلها الفارابي اجتماعا يسيطر عليه العقل والمثل العليا. **(عمر فروخ ،1952 ،ص 40)** .وقصد ابن باجة من رسالته في تدبير المتوحد أن يبين حال المتوحد وكيف يتدبر حتى ينال أفضل وجوداته فإنه فرد خارج عن عادة ودائرة النّاس أو خارج عن الطّبع كما يؤكده دائما .

وتدبير الأعمال الذي يقتضي التّفكير والرّوية لا يكون إلا عند الإنسان وحده وعلى تدبير المتوحد أن يكون صورة للتّدبير السّياسي في الحكومة الكاملة الفاضلة ،فكلمة المتوحد تطلق على الفرد المنعزل كما تطلق على مجموعة أفراد دفعةً واحدةً ،إذ طالما أن الجماعة لم تأخذ بعادات هؤلاء المتوحدين ولم تتبع تقاليدهم فإن هؤلاء كما يسميهم ابن باجة يصيرون رجالًا غرباء في عائلاتهم ومجتمعهم وذلك لأنهم مواطنوا الحكومة الكاملة الذين تدفعهم جرأتهم الرّوحية إلى استباق حدوثها.**(هنري كوربان ،1988 ،ص 346)**

إن الهدف من تدبير المتوحد هو البلوغ بالإنسان الفرد أكمل وجوداته وذلك يكون بالمعرفة النظرية وهذا يعني الارتفاع به إلى أعلى مستوى من الحياة العقلية إلى درجة الفيلسوف الذي ينظر إلى كل شيء بعين العقل وحده فيرى في كل شيء ويصير هو إياه وتلك هي السعادة سعادة المفرد ،وإذن فالمعنى العميق للتوحد والغاية القصوى منه هو الانتقال من مستوى العقل الفردي المتكثر بأصوله الحسية التي هي الموضوعات المادية إلى مستوى العقل الكلي العقل الواحد بالعدد.**(محمد عابد الجابري ،2001 ،ص 377)**

وهكذا فكما يهدف التدبير إلى التوحد بالانتقال من مستوى العقل الفردي المتكثر بأصوله الحسية التي هي الموضوعات المادية إلى مستوى العقل الكلي العقل الواحد بالعدد ،العقل الذي معقوله هو بعينه والذي يفهم منه ما يفهم من المعقول وهو واحد غير متكثر ويضيف ابن باجة قائلا :"والنظر من هذه الجهة هو الحياة الآخرة وهو السعادة القصوى الإنسانية المتوحدة" .**(محمد عابد الجابري ،1993 ،ص 190)**

بهذا ينبغي للمتوحد أن يتميز بالفضائل هذه هي القاعدة الأولى لتدبير المتوحد لأنه إن لم يتميز في تلك الصفات وكانت النفس الحيوانية تضع له عقبات في وقت العمل تكون هذه ناقصة وبدون غاية ،وإن لم تكن كذلك يضجر المتوحد بسرعة ويجد صعوبة ،وفي الواقع إنه من طبيعة النفس الحيوانية أن تطيع النفس العاقلة ماعدا حال الرجل الذي ليس في حالة الطبيعية كما هي حال الرجل ذي الطباع المتقلبة غير الثابتة.**(محمد لطفي جمعة ،2013 ،ص 102)**

وفي هذه الرّسالة يبسط ابن باجة ضربًا من التّصوف الجديد هو **التّصوف الاجتماعي** فكيف يكون التّصوف اجتماعيًا وهو قائم على العزلة والانفراد ؟

يبين هنا ابن باجة أن العلم الإنساني إنما يتحصل بمزاولة البحث في قلب المجتمع شريطة أن يعيش طالب المعرفة متتبعًا أساليب الفضيلة متقبلا بكليته على جانب المفاسد فلا يعوقه عائق على الاستبحار والتّأمل ولا يقصي عن العقل الفعال ومبدأ تحصيل المعرفة في المجتمع لا ينحصر في الفرد وإنما ينطبق أيضًا على جماعة بشرية عنيت بالشّؤون العقلية ويسمى أفرادها المتوحدين ومن شأنهم أنهم يستدرجون إلى غاياتهم السّامية أبناء المجتمع فيكونون مدينة في قلب المدينة ويرأسهم فيلسوف فتتكون منهم دولة المعرفة التي هي أفضل الدّول والتي يتمكن أهلها من إدراك المعقول الحقيقي.**(يوسف فرحات ،1986 ،ص 146)** ولكن الحقيقة أن العزلة التي يأمر بها ابن باجة ليست انقطاعا عن الناس وإنما معناه أن يظل الإنسان متصلا بالمجتمع ،غاية الأمر أن يكون دائما أمير نفسه وسيد شهواته وألا ينسحب في تيار رذائل الهيئة الاجتماعية وبعبارة أخرى أن يتمركز في نفسه ويشعر دائما بأنه مثل يُحتذى ومشروع يُقنن القواعد للمجتمع.**(محمد غلاب ،1948 ،ص 38)**

فقد كان ابن باجة أول اللذين حملوا على المذهب الصّوفي القائل بأن الزهد سبيل الآمال واليقين فهو يرى أن المتوحد لا ينفصل عن المجتمع وأهله شريطة أن يستفيد منهم ويستدرجهم إلى بلوغ غايته

وهو **أرسطي** النزعة يعتبر أن الإنسان اجتماعي بالطّبع وأنه خير طبعه وعليه فالمجتمع خير أيضا ويتعين على المتوحد أن يترفع عن غايات عيشه الجسمانية وأن يسمو فوق أنانيته فيجد في طلب رفاقه له الخير ويصبح واقع الحياة لمالا وقوله هذا يعد بمثابة استمرارا لمبدأ إخوان الصفاء ولمذهب التفاؤلي الذي اعتمدته الفلسفة في الإسلام.**(يوسف فرحات ،1986 ،ص 148)**

لهذا يرى ابن باجة أن الإنسان يجب أن يتولى تعليم نفسه بنفسه على أن الإنسان يستطيع بوجه عام أن ينتفع بمحاسن الحياة الاجتماعية ويمكن للحكماء أن يؤلفوا من أنفسهم جماعات صغيرة أو كبيرة بل هذا واجب عليهم من لقي بعضهم بعضًا فهم يكونون دولة داخل الدّولة ويحاولون أن يعيشوا على الفطرة بحيث لا يتحتم وجود طبيب ولا قاض بينهم وهم يترعرعون كما يترعرع النّبات في الهواء الطّلق من غير حاجة إلى عناية البستاني وكذلك يتنكبون عن ملذات العامة ونزعاتهم الدّنيئة وهم غرباء وسط الشواغل الدّنيوية في المجتمع ولما كانوا أصدقاء فيما بينهم فإن المحبة هي التي تقرر نظام حياتهم كلها ،ولما كانوا أحبابًا لله وهو الحق فإنهم يحدون راحة نفوسهم في الإتحاد بالعقل الأعلى الذي يفيض المعرفة للإنسان.**(ت،ج،دي بور ،1981 ،ص 374)**

وكأن ابن باجة جعل من المتوحد صورة للمدينة لأنه هو الذي يحمل مشروع قيامها في وعيه فكمال المدينة مشروط بكمال الإنسان المتوحد ،كما أن المدينة الكاملة تتأسس على المعرفة الصّحيحة والآراء الصّادقة لأن كل الآراء الموجودة خارجها في المدن النّاقصة هي آراء كاذبة ومن هنا كانت محصلة الآراء الصّادقة هي آراء أهلها،وبهذا فإن أهل المدينة الكاملة هم وحدهم القادرون على تحقيق كمالها من منطلق المعرفة الصّحيحة التي يتمتعون بامتلاكها.**(بلعالم عبد القادر ،2013 ،ص 162)**

ويميل رينان إلى أن ينسب إلى ابن باجة في تدبير المتوحد نزعة صوفية ،غير أن الأستاذ عمر فروخ يرى أن اتصال الإنسان بالعقل الفعال الذي يرمي إليه ابن باجة ليس انجذابا صوفيا عن طريق إماتة الحواس وعزل العقل عن معرفة الله وإنما هذا الاتصال هو بلوغ الإنسان بعقله إلى العلم بالكليات عن طريق العقل وحده وأن قصة حي بن يقظان أقرب ما يكون من الكتب إلى تدبير المتوحد.

**3.مفهوم النابت في الخطاب الفلسفي الباجوي**

ولكن كيف نفهم قول ابن باجة عن النوابت أن وجودهم هو سبب حدوث المدينة الكاملة ؟قد يعني ذلك فقط أن الموضع الذي يقف فيه الفيلسوف هو الذي يحدد طبيعة الحاجة إلى الفلسفة ،وقد يعني أيضا أن دور الفيلسوف مؤقت مثل موضعه :إن الفيلسوف إنما يضطر للظهور داخل عصره لا يختاره فهو موجود اضطرارا في هذا الزمان أو ذاك.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 94)**

فابن باجة يقسم المدن إلى مدن فاضلة كاملة وإلى مدن غير فاضلة غير كاملة ،فالمدينة الكاملة خلو من الضّلال والشّر ،فإن المدينة الفاضلة الكاملة قد أعطي فيها كل إنسان أفضل ما هو معد نحوه وأن أرائها كلها صادقة وأن رأيا كاذبا فيها وإن أعمالها هي الفاضلة بالإطلاق وحدها ،أما المدن الأخرى ففيها الضّلال والشّر ،فإن وجد فيها من يقع على رأي صادق ليس فيها أو مناقض لما هو فيها فذلك الإنسان هو النابت وهو المتوحد .فليس في المدينة الكاملة **نوابت** ،بل **النوابت** يظهرون في المدن غير الكاملة وقد يؤولون إلى الكمال فالمتوحد إذا ليس المتوحد اجتماعيًا ،المنفرد عن الناس في خلوة بل المتوحد فكريا المهتدي إلى حق غاب أهل مدينته أو اعتقد فيها نقيضه.

فالتوحد هو حب الحكمة من حيث أن هذه الحكمة هي التدرب على الإتيان إلى الفلسفة من غير المرور بإشكالية المدينة الفاضلة ،ولأن هذا التوحد هو فن وجود خاص بالفيلسوف الذي يختص بكونه نابتة في المدن غير الفاضلة فإن معنى الحكمة إنما كان ههنا معنى أصيلا :إنه التفرغ للبحث عن فن إقامة الفيلسوف في المدن غير الفلسفية أو هو البحث عن السعادة للذي لا يأتي إلى السعادة إلا فردا.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 95)**

وفي هذا المعنى يقول جميل صليبا :"وكل من قرأ كتاب **تدبير المتوحد** وجد في أضعافه أثرًا من آراء الفارابي في المدينة الفاضلة إلا أن الأمر الذي يتميز به ابن باجة هو أن مفهوم الدولة الفاضلة لم يكن عنده مفهوما قبليًا ولا محاولة لقلب نظام الحكم بل كان وسيلة لإصلاح العادات والأخلاق تهدف قبل كل شيء إلى تحقيق الوجود الإنساني على أكمل صورة في كل فرد والمتوحدون في نظر ابن باجة مواطنون في الدّولة المثالية وإن كانوا غرباء في المجتمع الحقيقي إلا أن جرأتهم الروحية تدفعهم إلى مجاوزة شروط الواقع وإلى سلوك منهج عقلي يهيئون به أسباب السعادة في الدّنيا والآخرة.**(محمد إبراهيم الفيومي ،1988 ،ص 09)**

ويرى الفارابي أن النوابت في المدن منزلتهم فيها منزلة الشيلم في الحنطة أو الشوك النابت فيها بين الزرع أو سائر الحشائش غير النّافعة والضّارة بالزّرع أو الغرس وأقر بوجودهم في المدن الفاضلة .يقول الفارابي :"وأما النوابت في المدن الفاضلة فهم أصناف كثيرة ويعددهم فهم المقتنصون وهم اللذين نسميهم اليوم باسم الانتهازيين والمارقة والمضللون والمزيفون للقيم". **(بدوي عبد الرحمن، 1984 ،ص 18)**

فمعنى كلمة النّوابت معناها الأشخاص غير الفضلاء في المدينة الفاضلة وهو المعنى المجازي الفلسفي الذي قصده الفارابي وذلك تشبيها لهؤلاء بالشوك في حديقة الورد غير أن ابن باجة ينبهنا في النّص الذي بين أيدينا إلى أنه لا يقصد هذا المعنى بل يريد معنى آخر هو على النّقيض من هذا تماما ،فهو يعني بالنّوابت الأشخاص الفضلاء في مدينة غير فاضلة فأساس التّشبيه عنده باصطلاح علماء البلاغة ليس هو ما يتصف به الشوك من خشونة وما يسبب فيه من أذى بالقياس إلى الورد الشّيء الذي كان يفكر الفارابي عندما نقل هذه اللّفظة من معناها الحقيقي إلى المعنى المجازي الفلسفي الذي أعطاه لــها بل أن أساس التّشبيه عند ابن باجة شيء آخر هو التفرد ،فالشّوك في حديقة الورد والوردة في حقل الشّوك كلاهما نوابت أي متفرد في الوسط الذي يوجد فيه .إذن فالمقصود بالنوابت في اصطلاح ابن باجة هم المتفردون في المدينة وبما أن مدن زمانه كانت مدنا غير فاضلة كما نص على ذلك بنفسه فإن النّابت فيها سيكون هو من تفرد بالفضل ،وإذن فالنّوابت على العموم هم الفضلاء في المدينة غير الفاضلة.**(محمد عابد الجابري ،1993 ،ص 182)**

كما أن ابن باجة في مدينته الفاضلة يجمع النّوابت من المدن الأخرى أو المنفردين بتوحدهم وإحساسهم بالوعي الذّاتي المنفرد والشّعور بالغربة الفكرية المتمردة ليصبحوا شيئًا واحدًا مع وعيهم الاجتماعي ولا شك أن وعيهم الذّاتي في المدينة الفاضلة يقتضي الشعور بالآخرين المتوحدين معهم وفي ذلك عودة إلى طبيعة الإنسان فهو اجتماعي في أعمق طبيعته .

يقول ابن باجة :"أن هؤلاء متى وجدوا في المدن الأربع فإن وجودهم هو سبب حدوث المدينة الكاملة ويعني التوحد أنه مقابل المنفرد أي هؤلاء النّوابت بين غيرهم يجمع بينهم في المدينة الكاملة فيتوحدون على عمل واحد فتزول غربتهم وتدوم عليهم السّعادة".**(محمد إبراهيم الفيومي ،1988 ،ص 122)** وتوصل ابن باجة إلى أن جميع السّير . أي نظم الحكم . التي بلغنا خبرها والموجودة في

زمانه أيضا مركبة من السّير الخمس :أي السّيرة الفاضلة "المدينة الفاضلة" والسّير الأربع وهي الجاهلة ،الفاسقة ،المتبدلة والضالة لكن معظم ما نجده فيها هو من السّير الأربع أما السّعداء وهم أهل المدينة الفاضلة فإن أمكن وجودهم في هذه المدن الأربع فإنما يكون لهم سعادة المفرد. **(بدوي عبد الرحمن ،1987 ،ص 102)** بهذا يبين ابن باجة أن من خواص المدينة الكاملة أن لا يكون فيها نوابت إذا قيل هذا الاسم بخصوص لأنه لا آراء كاذبة فيها ولا بعموم فإنه متى كان فقد مرضت وانتفضت أمورها وصارت غير كاملة والسير الأربع قد وجد فيها النوابت ووجودهم هو سبب حدوث المدينة الكاملة على ما تبين في غير هذا الموضع. غير أن ابن باجة لا يحدد لنا تحديدا مفصلا دقيقا حال هذا المتوحد بل تنتهي رسالة تدبير المتوحد إلى نظرة واقعية إلى الإنسان فيقول :"إن الإنسان فيه أمور كثيرة وإنما هو إنسان بمجموعها :ففيه القوة الغاذية ،وفيه القوة الحساسة والخيالية والذّاكرة ،وفيه القوة النّاطقة وهذه هي الخاصة به".**(بدوي عبد الرحمن ،1984 ،ص 18)**

ليس المتوحد بالضرورة فردا وحيدا بل قد يمكن لمتوحد أن يجتمع بجماعة من المتوحدين إذ أن ذلك هو المعنى الوحيد لإمكانية الهجرة ،فالتوحد إما اعتزال بالعرض أو هجرة إلى الصحبة ،هو يعتزل الوطن الذي ينبت على أرضه بالعرض وفن الهجرة إلى الوطن بالعرض.**(فتحي المسكيني ،1997 ،ص 100)** وحينما يتحقق وجود الأفراد المتوحدين ينشأ بينهم تكافل وتضامن اجتماعي ويتمكنون من إقامة مجتمع فاضل لا يحتاج إلى أطباء أو قضاة إذ ليس لهم من طبيب سوى الله وهم كالنبتات التي تنمي التدبير المؤدي إلى غبطة المتوحد ،إذ أن هذا المجتمع الكامل ستسود فيه الفضيلة وتنتفي الشرور وذلك بفضل قدرة هؤلاء الرجال على الاتصال بالعقل الفعال الذي يلهمهم طريق الحكمة والهداية.**(محمد علي أبو ريان ،1990 ،ص 421)**

نستخلص أن من خصائص المدينة الفاضلة :لا يكون فيها طبيب ولا قاض ،وآراء أهل المدينة الفاضلة كلها صادقة وأفعالهم كلها فاضلة بمعنى أنه لا يكون في هذه المدينة آراء كاذبة أبدا إذ لا تنتشر فيها الآراء الغريبة الطارئة التي ربما تأتي من مدن أخرى ناقصة ،وإن أعمالها هي الفاضلة بالإطلاق وإن أي عمل آخر إن كان فاضلا فهو بالإضافة إلى فساد موجود .ومن خواص المدينة الكاملة أن لا يكون فيها نوابت ،كما تتسم المدينة الفاضلة بتنظيم العمل وتقسيم الأدوار حيث يعهد

إلى كل شخص بالعمل الذي يجيده في هذه المدينة نجد المواطنين يتجاوزون وجودهم الجسماني البحت إلى الوجود العقلي المطلق.**(زينب عفيفي ،2000 ،ص 340).**

## 4. خاتمة

مما سبق نستنتج أن ابن باجة حاول أن يجسد لنا لونًا جديدًا من التّصوف وهو التصوف الاجتماعي فاتخذ في نهجه الفلسفي من شخصية المتوحد ذلك الإنسان الفاضل في المدينة لأن المتوحد في نظره أطلقها على الفرد المنعزل كما أطلقها على مجموعة أفراد دفعةً واحدةً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اتخذ من تدبير المتوحد مثالًا كتدبير المنزل ثم تدبير المدينة فهو يرتقي بالمتوحد من الجزء إلى الكل ومن المفرد إلى المجتمع .ولقد رفض أن يكون أي شخص من الصّوفية عضوًا في مدينته لأن المعرفة عند ابن باجة مصدرها العقل والمعرفة وليست المعرفة الصّوفية لأنها تحوي صورًا حسية وخيالات لا تؤدي إلى الحقيقة لذا قال بالتفسير العقلي الذي لا تشوبه لذة حسية وهو وحده الموصل إلى الحقيقة وحاول أن يضع في المدينة الفاضلة المنفردين بتوحدهم وإحساسهم بالوعي الذّاتي المنفرد أو النّوابت من المدن الأخرى والشّعور بالغربة شيئًا واحدًا رغم وعيهم الاجتماعي لأنه مهما كان وعيهم الذّاتي في هذه المدينة الفاضلة يقتضي الشّعور بالآخرين لأن الإنسان اجتماعي بطبعه وجعله أمرًا مشروعًا.

## 5. قائمة المراجع:

ابن باجة ،**تدبير المتوحد** ،سراس للنشر ،تونس ،1994 .

عبد القادر بلعالم ،**جدلية الإنسان والسّياسة والتّاريخ في فلسفة ابن باجة . دراسة في كتابه تدبير المتوحد** . ،عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع ،الأردن ،ط1،2013 .

عمر فروخ ،**ابن باجة والفلسفة المغربية** ،منشورات مكتبة منيمنه ،بيروت ،ط 2 ،1952 .

رحاب خضر عكاوي ،**موسوعة عباقرة الإسلام في الطّب والجغرافيا والتّاريخ والفلسفة** ،ج2 ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ط1،1993 .

زينب عفيفي ،**ابن باجة وآراؤه الفلسفية** ،تصدير:عاطف العراقي ،دار الوفاء لدنيا الطّباعة النّشر والتّوزيع،(د.ط) ،2000 .

محمد إبراهيم الفيومي ،**ابن باجة وفلسفة الاغتراب** ،دار الجبل ،بيروت ،ط1 ،1988 .

محمد عابد الجابري ،**بنية العقل العربي "دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية** ،مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان ،ط1 ،1986، ط9 ،2009 .

محمد عابد الجابري ،**نحن والتراث "قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي"** ،المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6 ،1993 .

محمد لطفي جمعة ،**تاريخ فلاسفة الإسلام** ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،2013 .

محمد عابد الجابري ،**العقل الأخلاقي العربي "دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية"**، مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان ،ط1 ،2001 .

محمد علي أبو ريان ،**تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام "المقدمات العامة ،الفرق الإسلامية وعلم الكلام ،الفلسفة الإسلامية"** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1990 .

ت .ج .دي بور ،**تاريخ الفلسفة في الإسلام** ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ط5، 1981 .

عبد الرحمن بدوي ،**موسوعة الفلسفة "ج1"** ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط1، 1984

عبد الرحمن بدوي ،**موسوعة الحضارة العربية الإسلامية "الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية"**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط1 ،1987 .

هنري كوربان ،**تاريخ الفلسفة الإسلامية** ،تر:نصير مروة ،حسن قبسي ،موسى الصّدر ،عويدات للنّشر والطّباعة ،بيروت ،لبنان ،ط2 ،1988 .

يوسف فرحات ،**الفلسفة الإسلامية وأعلامها** ،الشّركة الشّرقية للمطبوعات ش.م.م ،ط1 ،1986 .